الثقافة والسياسة في العراق المعاصر

دار المعلمين العالية ١٩٢٣-١٩٥٨ صفحة من تأريخ التعليم الجامعي

أ. د. إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث/ مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

ملخص البحث

تأسست دار المعلمين العالية سنة ١٩٢٣ وكانت الدراسة أول الأمر مسائية حتى سنة ١٩٢٧.. وقد تعرضت الدار للإلغاء سنة ١٩٣١ لكنها أعيدت سنة ١٩٣٥ وأصبحت مدة الدراسة فيها ٤ سنوات يمنح الطالب في نهايتها شهادة الليسانس في الآداب أو العلوم أو التربية وقد ارتبط إلغاءها بخوف السلطات الحاكمة من ممارسة طلابها لنشاط سياسي مضاد لها البحث محاولة لتوثيق تاريخ دار المعلمين العالية ونشاطاتها وخريجيها وأثرها في المجتمع منذ تأسيسها وحتى سنة ١٩٥٨ حتى تغير اسمها إلى كلية التربية.

الثقافة والسياسة في العراق المعاصر

إن الحاجة إلى دار معلمين عالية، أو الحاجة إلى دار عالية للمعلمين والمدرسين في العراق بدت ملحة وضرورية بعد اتساع فتح مدارس متوسطة وثانوية اثر تشكيل الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١. وحيث لم يكن في العراق آنذاك أساتذة من ذوي التأهيل العالي للتدريس في تلك المدارس، ارتأى المسؤولون في وزارة المعارف (التربية)، فتح صف مسائي سنة ١٩٢٣ كتدبير مؤقت، واتخذ هذا الصف الطابق العلوي من المدرسة المأمونية في بغداد مقرا للمدرسة الجديدة التي أصبح يشرف عليها المربي المعروف الأستاذ ساطع ألحصري (١٨٨٨-١٩٦٨) رحمه الله. وقد قبل في هذا الصف (١١) طالبا فقط، وهم يشكلون (الدورة الأولى) لتلك المؤسسة التعليمية الجديدة،ويعدد الأستاذ عبد الرزاق الهلالي أسماء الطلاب الذين تخرجوا من الصف المسائي ويقول أنهم كانوا من معلمي ومدراء

المدارس الابتدائية وهم سعيد فهيم، وعباس فضلي، وسلمان الشواف، وعبد الكريم جودت، وشفيق سلمان، وعوني بكر صدقي، وصديق الخوجة، ومحمد علي الخطيب، وعبد الرزاق لطفي، وسعيد أيوب، وهاشم الآلوسي.

وفي السابع من تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٢٣، فاتحت وزارة المعارف مجلس الوزراء بكتاب جاء فيه أن ((ثمة حاجة شديدة إلى تكثير المدارس الثانوية، سيما الصفوف الأولى والثانية منها في السنين المقبلة، وسنضطر إلى صفوف كهذه وتأسيس مدارس متوسطة بين الابتدائية والثانوية في المراكز المهمة كالعمارة، والنجف الاشرف، والناصرية، وكربلاء المقدسة، والواجب علينا أن نفكر في استحضار المعلمين اللازمين لهذه التأسيسات المستقبلية من الآن، وقد رأينا أن نؤسس دار عالية للمعلمين لايقبل فيها إلا من كان متخرجا من دار المعلمين الابتدائية، أو من مدرسة ثانوية على أن تكون مدة الدراسة فيها سنتين بحساب (١٢) درسا في الأسبوع، وتفتح هذه المدرسة شعبة (صف) لتخريج معلمين للدروس الطبيعية، وشعبة لتخريج معلمين للدروس التاريخية والجغرافية وتدرس في شعبة الطبيعيات الدروس الآتية: الفيزياء، الكيمياء، الحيوان، النبات، طبقات الأرض (جيولوجيا)، الصحة، الزراعة، ويدرس في شعبة التاريخ والجغرافية، التاريخ العام وتاريخ العرب، وتاريخ الحضارة، والجغرافية الاقتصادية، والجغرافية الطبيعية وجغرافية العراق، وعلم الاقتصاد،وعلم الاجتماع، والسياسة، وفي كلتا الشعبتين تدرس التربية، وفلسفة العلوم وتاريخها)).

وبصدد الأجور الدراسية، فقد قررت على الطلاب لسد ((المصاريف المقتضبة، وسوف لانطلب من وزارة المالية مخصصات لهذا الغرض، ولن ندخلها في الميزانية، حتى نتبين الوارد من المصروف فعلا..)) وقد وقع على الكتاب آنذاك وزير المعارف الشيخ محمد حسن آل أبي المحاسن، أما رئيس الوزراء فكان جعفر باشا العسكري.

اتخذ مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في الأول من كانون الأول / ديسمبر ١٩٢٣ قرارا بقبول الاقتراح ومما جاء في القرار أن مجلس الوزراء قرر قبول اقتراح وزارة المعارف القاضي بإحداث مدرسة عالية للمعلمين، وان يستوفي من كل طالب يدخل هذه المدرسة (١٥) روبية في الشهر، وكانت الروبية آنذاك تساوي ٧٥ فلسا عراقيا. وان لا تتكبد الخزينة مصاريف إضافية من جراء فتح هذه المدرسة سوى الأجور التي تستوفي من الطلاب.

افتتح باب القبول في دار المعلمين العالية بعد اتخاذ الترتيبات والتحضيرات اللازمة.. وقبل معلمي المدارس الابتدائية الراغبين في إعداد أنفسهم للتأهيل العالي، فالتحق بها بعد الـ (١١) طالبا (الوجبة الأولى)، عدد آخر من الطلاب عدوا (الوجبة الثانية) منهم: محمود شكري، وسعيد صفو، ووديع سرسم، ومصطفى علي ثروت، وعبد الأحد سرسم،وعبد الحميد الخطيب، ونسيم سلمان، وإبراهيم حسون، وسعيد فتوحي، وصبحي ناحوم، وشاكر على العاني، وإبراهيم شوكت، وجميل رؤوف، وحامد مصطفى، ومحمود الحاج علي، وعبود مهدي زلزلة، وذو النون أيوب، ودانيال كساب، وموسى الشماع، وداؤد الصائغ، ورفيق نوري السعيدي، وسليم محمود، ومحمد باقر حسين، وضياء الدين شكارة، وفخر الدين احمد، وعبد القادر البند نيجي، وذوالنون أيوب،ونسيم سلمان، وإبراهيم حسون، وسعيد فتوحي، وعبد القادر محمد، وتوفيق فتاح، ودانيال كساب، وصبحي ناحوم. ولما ازداد عدد الطلبة ولم تعد بناية المدرسة المامونية تستوعبهم، انتقلت الدار إلى بناية المدرسة الثانوية.

كانت الدراسة مسائية وظلت كذلك حتى سنة ١٩٢٧، حين أصبحت نهارية، ولم يقبل في الدار بعد ذلك، إلا خريجو الدراسة الثانوية، وقد عين الأستاذ طالب مشتاق عميدا لدار المعلمين العالية وكالة، ثم عين الدكتور ناجي الأصيل عميدا. أما الأساتذة فكانوا عند التأسيس:

١. ساطع ألحصري، لتدريس علم النفس وفلسفة العلوم وأصول التدريس
٢. عبد اللطيف ألفلاحي، لتدريس التأريخ العام والحديث
٣. طه الراوي، لتدريس تأريخ العرب والإسلام
٤. يوسف غنيمة، لتدريس تاريخ المدن العراقية
٥. وديع اسعد، لتدريس الجغرافية الاقتصادية
٦. هاشم السعدي، لتدريس جغرافية العراق
٧. وديع عبد الكريم، لتدريس جغرافية العراق
٨. عز الدين علم الدين، لتدريس الكيمياء والتاريخ الطبيعي.

وفي العام الدراسي ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ كان ملاك دار المعلمين العالية كما يلي:

١. ساطع ألحصري، لتدريس مادة التربية وعلم النفس والاجتماع
٢. ناجي الأصيل لتدريس مادة تاريخ الحضارة
٣. معروف الرصافي لتدريس مادة آداب اللغة العربية
٤. جلال زريق لتدريس مادة الرياضيات
٥. وديع عبد الكريم لتدريس مادة الفيزياء
٦. تحسين إبراهيم لتدريس مادة الكيمياء
٧. شوقي الدندشي لتدريس مادة تاريخ الإسلام
٨. محمد خورشيد(وهو الشاعر محمد العدناني) لتدريس مادة اللغة الانكليزية

كان لساطع ألحصري دور كبير في إنشاء وتنظيم دار المعلمين العالية، فقد حرص باستمرار على إدخال الإصلاحات إلى هذا المعهد وتطويره وتزويده بالمختبرات والأثاث واللوازم المختلفة، وفي سنة ١٩٢٧ فتح في دار المعلمين العالية، فرع للرياضيات قبل فيه عشرة طلاب من خريجي المدارس الثانوية. وكان

ألحصري وراء اختيار الأساتذة الكفوئين من العرب والعراقيين للتدريس في دار المعلمين العالية. وخلال السنة الدراسية ١٩٢٦.١٩٢٧، اضطرت وزارة المعارف، نتيجة لحاجتها إلى المدرسين، استخدام طلاب دار المعلمين العالية قبل أن يكملوا دراستهم، فكانوا يقضون نصف أوقاتهم في الدراسة والنصف الباقي في التدريس،وقد أصبح في دار المعلمين العالية ثلاثة فروع، هي فرع العلوم الطبيعية، وفرع العلوم التاريخية والجغرافية (الاجتماعيات) ثم فرع الرياضيات. وكان سبب اقتصار الدار على هذه الفروع يرجع إلى حاجة المدارس الثانوية إلى مدرسين أكفاء في تلك الاختصاصات أكثر من حاجتها إلى مثلهم في الميادين الأخرى.

أشارت المصادر البريطانية إلى أن الشعور الوطني المعارض لكل اقتراح بتعيين مدرسين أجانب للمدارس الثانوية وكذلك قلة تكاليف أعداد المدرسين داخل العراق، بالمقارنة إلى تعيين الأجانب كان وراء إنشاء دار المعلمين العالية وقد ارتبط بإنشاء الدار، بدء المحاولات لتوسيع دائرة التعليم الثانوي. وتعد سنة ١٩٢٥ نقطة تحول في تاريخ التعليم الثانوي في العراق، إذ بدأت في هذه السنة حركة لتوسيع نطاق هذا التعليم، إذ استعانت وزارة المعارف بالأهالي لمساعدتها ماليا في فتح مدارس متوسطة وثانوية في مناطق مختلفة من العراق. وفي السنة الدراسية ١٩٢٥.١٩٢٦ ابتدأت الامتحانات العامة (البكالوريا) للدراسة الثانوية في العراق لأول مرة.

عندما تأسست جامعة آل البيت ببغداد في الخامس عشر من آذار / مارس ١٩٢٤ وعين الأستاذ فهمي المدرس رئيسا للجامعة، ضمت دار المعلمين العالية إلى الجامعة، إلى جانب مدرستي (كليتي) الحقوق والهندسة، والكلية الدينية. لكن عقد الجامعة سرعان ما انفرط عندما ألغيت سنة ١٩٣٠، فعادت الكليات إلى وضعها السابق مستقلة بعضها عن البعض الآخر.

وفي السنة الدراسية ١٩٣٠.١٩٣١ نفسها، اقترحت لجنة الأمور المالية إلغاء دار المعلمين العالية، فاستجابت وزارة المعارف لذلك، وقررت غلق أبواب الدار بحجة انخفاض مستواها ومستوى هيئة التدريس فيها. كما تقرر التعويل على (البعثات العلمية) في الحصول على المدرسين والمدرسات، وكان عد طلاب الدار عند إلغائها (٤٤) طالبا منهم (٢٥) طالبا في الصف الأول و(١٩) طالبا في الصف الثاني. وقد عين المتخرجون منهم مدرسين على الملاك الثانوي. أما الذين لم يكملوا دراستهم، فقد عين بعضهم على الملاك الثانوي، والباقون على الملاك الابتدائي. ولم تفتح الدار ثانية إلا في سنة ١٩٣٥. وفي سنة ١٩٣٩ أصبحت مدة الدراسة في دار المعلمين العالية أربع سنوات يمنح الطالب في نهايتها ليسانس في العلوم أو الآداب أو التربية، ويرتبط إلغاء دار المعلمين في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي إلى سياسة نوري السعيد التي استهدفت تقليص التعليم الثانوي والاعتماد على البعثات العلمية خارج العراق،وخشية السلطة الحاكمة آنذاك من الدور السياسي الذي بات يلعبه طلبة دار المعلمين العالية والمعاهد العالية الأخرى باعتبارهم جزءا من الحركة الوطنية العراقية. هذا فضلا عن أن سلطات الانتداب البريطاني المفروض آنذاك على العراق، لم تكن تشجع على التوسع في التعليم العالي لأسباب سياسية يتعلق معظمها بالخوف من اشتداد الوعي الوطني، وتنامي الشعور القومي والديموقراطي بين الطلبة في العراق.

تحدث الأستاذ عبد الرزاق الهلالي عن دار المعلمين العالية، فقال أن الذين تخرجوا في سنة إلغاء الدار هم فرنسيس بدرية، وعبد القادر جميل، وجواد الجصاني، وناجي يوسف، ومحمد علي راجي كبة، وصالح كبة، وصبحي علي، وبشير اللوس، وكامل صالح،وعبد الغني الجرجفجي وبشير فرنسيس، وعبد الستار فوزي، وعبد الهادي المختار، وإبراهيم محمد نوري، وكانت رواتب الذين يكملون الدراسة في دار المعلمين العالية (١٦،٨٧٥) دينار شهريا. أما الذين لم يكملوا

الدراسة، فكانوا يعينون معلمين في المدارس الابتدائية براتب شهري قدره (١٤،٢٥٠) دينار شهريا.

وأضاف الهلالي يقول أن دار المعلمين العالية استقبلت أول وجبة من الفتيات العراقيات في مطلع السنة الدراسية ١٩٣٨.١٩٣٧ وذلك في عهد عميدها الدكتور متي عقراوي. وكن (٨) فتيات منهن أديبة إبراهيم رفعت، وبدرية علي، وعزة الاسترابادي، وزهرة ألجلبي، وفخرية محمد علي. والبنات كن يأتين الدار، وكل واحدة منهن تلبس العباءة العراقية، وبعضهن كن يضعن (البوشي) على وجوههن. وعند وصولهن الدار ينزعن العباءة ويتحررن من البوشي وكن يجلسن في الصفوف المتقدمة (الأولى) من المقاعد،وخلفهن يجلس الطلاب وكان وجودهن في الصف باعثا على الهدوء والاحترام وتجنب العبث والمزاح.

أما الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ، وكان احد طلاب دار المعلمين العالية أي من الطلاب الذين يطلق عليهم (الدر معيون)، أي خريجو دار المعلمين العالية، فقد كتب عن دار المعلمين العالية في ذكراها الستينية (خريف ١٩٨٣) يقول انه قدم إلى رئيس جامعة بغداد في السبعينات من القرن الماضي مقترحا لإحياء ذكرى تأسيس دار المعلمين العالية، فاستجاب، وأعد الدكتور محفوظ منهاجا واسعا لإحياء الذكرى لكن المنهاج ضاع وكان يتضمن نبذة عن تأسيس دار المعلمين العالية وموجز تاريخها وأسماء عمدائها وقائمة مرتبة على السنين بالأوائل من خريجيها.وقد أسف على ضياع ذلك. وفي جريدة العراق (البغدادية) العدد الصادر يوم ٣ شباط،١٩٨٥ نشر الدكتور محفوظ جانبا في ذكرياته عن دار المعلمين العالية، وذكر انه نظم قصيدة خاطب بها الدار في ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٩ قائلا:

يا دار صحبي وحسبي أني إلى الدار أنمي
ويا أهيل ودادي أورثتموني سقما
ويا أحبابي رفقا تركتم الكلم يدمى

وقال: ((كانت دار المعلمين العالية شيئا خاصا في المعاهد يمثل التعليم العالي في إطار أسرة متحابة تضم الأساتذة والطلبة والموظفين والعاملين تجمعه الدار. وقد ترك رباط الأسرة أثرا كبيرا في مشاعر خريجي دار المعلمين العالية يشبه القرابة وربما زاد عليها. وقد ظل (الدر معيون) يحسون عمق المودة والحب والقربى حتى الآن رغم تباعد الزمن وتقدم العهد. ولفظ (دار المعلمين العالية) عند خريج الدار يعني (حنينه أبدا لأول منزل) وذكريات سنين أربع عامرة بالدروس والمواسم والمشاكل والظرائف واللطائف والطرائف والحب)).

لقد كانت دار المعلمين العالية، في نظر الدكتور محفوظ وكل خريجيها،((بيتا جميلا، وأسرة لطيفة وعائلة متآلفة تربط أعضاءها الصداقة والزمالة والدراسة،وتشدهم المحبة والمودة والرفعة. تؤلف بينهم قاعاتها وساحاتها ورحبها، وتجمعهم حجراتها وغرفها وحدائقها. ويلتقون في مطعمها وتؤنسهم أحاديث مائدتها صباحا ومساء وتضم غرفات النوم في القسم الداخلي أجنحتها عليهم ليلا إذا اشتد الظلام، ويطيب حمامها أجسامهم في الجمعات كل أسبوع. وقد تعطر نسمات الدار أحيانا اسارى الهوى يخفون الفتون، ثم تنم عليهم الآهات والحسرات، ويشي بهم الوله، وتشهد عليهم النظرات، وتدل عليهم الدموع، وهي حالات كانت تعبق بالعفة، والصدق، والأمانة والنزاهة، وكنا ننظر إلى أصحابها بإشفاق ورحمة ورأفة)).

ويستطرد الدكتور محفوظ مع ذكرياته في دار المعلمين العالية، ويعدها ((أم المدارس)) و((نواة الجامعة)) و ((من أمهات معاهد الثقافة والمعرفة والمركز الأول لتخريج رجال العلم والأدب في العراق)).ثم يقول ((دخلت دار المعلمين

العالية في خريف سنة ١٩٤٤، وحييتها في اللقاء الأول يوم ٥ تشرين الثاني ١٩٤٤ بقصيدة مطلعها:

أورق العود وازدهى النوار وطوى معصم الرياض سوار

وكانت هذه الأبيات بداية التعريف بي شاعرا في الدار. وقد كان شعراء الدار في الأربعينات نخبة يخطر ببالي منهم (الدكتور) عبد الجبار ألمطلبي، و(الدكتورة) عاتكة الخزرجى، والشاعر بدر شاكر السياب،والأستاذ شاذل طاقة،والسيدة لميعة عباس عمارة،والأستاذ عبد الرزاق عبد الواحد،والشاعر العربي الأستاذ احمد مجيد العيسمي من سوريا)). كانت دار المعلمين العالية بالنسبة لخريجيها بمنزلة (الأم)، وكانت شيئا خاصا وقد ظل (الدر معيون) يحسون عمق المودة والحب والقربى التي تجمعهم حتى الآن رغم بعد الزمن وتقادم العهد)).

أما عبد الرزاق عبد الواحد، فقد تحدث عن بعض ذكرياته في دار المعلمين العالية وقال عنها أنها قد خرجت (عمالقة) العراق في الأدب والسياسة والثقافة والعلوم والتربية.وأضاف انه دخلها سنة ١٩٤٧ وكانت ابنة خاله الشاعرة لميعة عباس عمارة قد سبقته وقد عرفته ببدر شاكر السياب الذي استقبله بحفاوة لأنه كان يحب لميعة آنذاك وقال أن الدار اعتادت أن تنظم كل عام دراسي مربدا للشعر، وتعاظم دور الدار في حياة العراق الثقافية والسياسية بعد وثبة كانون الثاني ١٩٤٨ التي اندلعت ضد معاهدة بورتسموث. كما تصاعدت النزعات القومية والماركسية بين طلبة الدار وتفاقم التوجه نحو الدعوة إلى تحرر المرأة وألقت لميعة عباس عمارة قصيدتها المشهورة (أنا وعباءتي). كما ألقى عبد الرزاق عبد الواحد أول قصيدة له في ذلك المربد ونشرتها له جريدة الوطن لصاحبها السياسي المعروف عزيز شريف وقد حملت القصائد التي ألقيت آنذاك مضامين وطنية تحررية. ولم يكن الشعر في دار المعلمين العالية بعيدا عن مطالب الحركة الوطنية العراقية الداعية إلى التمرد ضد الإقطاع والرجعية والاستعمار وأعوانه،

والى شيى من هذا القبيل يشير عبد الوهاب ألبياتي في حديث له مع فراس عبد المجيد رشيد في كانون الثاني ١٩٩٥ عندما يقول: ((كانت دار المعلمين العالية،بؤرة ثقافية كبيرة، انصهر فيها الكثير من التيارات الثقافية والشعرية،وكان مثلا السياب ونازك الملائكة من طلبة الدار،أي من الذين تخرجوا من تلك الدار...)). أما عبد الله بن يحيى السر يحي فيقول عن دار المعلمين العالية، وهو يتابع مسيرة احد خريجيها سنة ١٩٤٦ الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي أستاذ اللغة العربية المشهور (١٩١٦-٢٠٠١): ((وقد خرجت دار المعلمين العالية أفذاذ وعباقرة علماء وأدباء العراق في العصر الحديث،إذ كان مستوى الدراسة والتدريس فيها عاليا ومتميزا،وكان مدرسوها صفوة رجال العلم في العراق ومصر والشام)).

ويقيم الأستاذ الدكتور عبد الإله الصائغ أثر دار المعلمين العالية في حياة العراق الثقافية العاصرة فيقول إن دار المعلمين العالية كانت:((منبرا تنويريا مهما،ولم تكن لتقتصر على الدراسة بل كانت المواسم الشعرية والمباريات والنشرات الجدارية سمتها البارزة. فضلا عن وجود أساتذة عظماء..علما وأدبا ودعاة للتجديد...وقد تخرج فيها شعراء صاروا نجوما فيما بعد وأكثر هؤلاء كانوا من رواد الشعر الحر أو رواد التجديد في الشكل التقليدي نذكر منهم نازك الملائكة،وسليمان العيسى، وعلي جواد الطاهر،وعاتكة الخزرجي، وعبد الوهاب ألبياتي،ورزوق فرج رزوق، وعبد الجبار ألمطلبي،ولميعة عباس عمارة، وشاذل طاقة،ومحمد جميل شلش،وعبد الرزاق عبد الواحد،وكانت المنافسة على أشدها بين أومن الشعراء والأدباء أيام التلمذة،بل أن بعضهم كتب أجمل قصائده في تلك الأيام...)).

وينقل الدكتور الصائغ عن الشاعر السوري سليمان العيسى وهو أحد ابرز طلبة دار المعلمين العالية تخرج فيها سنة ١٩٤٧ قوله: ((ولدت عام ١٩٢١ ودخلت دار العلمين العالية في بغداد عام ١٩٤٤ وتخرجت فيها عام ١٩٤٧...كنت قد

قدمت من سوريا (الاسكندرونة)، وليس لدي أصدقاء بعد من العراقيين،وكانت الدار تجري مقابلة للطلبة الجدد وقد اتخذت لجنة القابلة من غرفة العميد الدكتور متي عقراوي مقرا لها وعلى باب العميد...تعرفت على شاب نحيل خجول هو بدر شاكر السياب وهكذا جمعنا فصل واحد ومقعد دراسي واحد...أما نازك الملائكة فقد تخرجت من الدار قبل دخولنا إليها بأربع سنوات بيد أنها كانت تزور الدار في بعض المناسبات...وبقية زملائي هم ديزي الأمير،ومحمد علي إسماعيل (من البصرة) ورمزه عبد الأحد واحمد قاسم الفخري (من الموصل)وكان اقرب الزملاء إلى نفسي...أما الشاعر عبد الجبار ألمطلبي فكان قد سبقنا بعام أو عامين...وثمة الشاعر خالد الشواف فهو لم يزاملنا في الدار بيد انه كان يزورنا...والخيمة التي كانت تظلل جماعة الدار من رواد الشعر الحر فكانت قهوة عرب على طريق الوزيرية، كنا نلتقي فيها لنشرب الشاي،ونتناقش في الشعر ونحضر دروسنا...أما الشعراء لميعة عباس عمارة وعبد الوهاب ألبياتي وشاذل طاقة فقد جاؤا الدار، ودخلوا السنة الأولى وكنت وبدر شاكر السياب في السنة الرابعة.. والشاعرة عاتكة الخزرجي جاءت في مرحلتها الدراسية بالدار بعدنا لكنها سبقت عبد الوهاب ألبياتي ولميعة عباس عمارة فهي متوسطة بيننا...ولم تسهم في إلقاء شعرها على طلبة الدار إلا مرة أو مرتين...)).

ويختم سليمان العيسى شهادته عن الدار بقوله ((: ويمكنني القول أن دار المعلمين العالية رزقت أساتذة كبارا،أثروا في الطلبة تأثيرا واضحا.فضلا عن أن الطلبة الذين تتلمذوا عليهم كانوا جملة مواهب كبيرة.أما الأساتذة فهم الدكتور متي عقراوي عيد الدار حين كنا في السنة الأولى وخالد الهاشمي عميد الدار بعد الدكتور عقراوي وبقي بعد تخرجنا والدكتور مصطفى جواد والدكتور محمد مهدي البصير وزوجته الفرنسية مدام البصير وأستاذ انكليزي اسمه المستر وود والأستاذ

طه الراوي والأستاذ حسن الدجيلي والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عزالدين ال ياسين والمعيد الأستاذ جاسم محمد...)).

ويقول الأستاذ العيسى: ((إن الدكتور محمد مهدي البصير شكل لجنة ثقافية بإشرافه ورعايته كان ابرز أعضائها السياب والعيسى، وقد وجهت اللجنة دعوة للشاعر محمد مهدي ألجواهري فاستجاب على الفور وأقمنا له (صباحية شعرية)) قرأ فيها ألجواهري عشرا من قصائده الثورية والغزلية،ولم تعبأ اللجنة الثقافية بموقف الدولة المعادي للجواهري)).

وكانت الدار ترتدي أزهى حللها في يوم المولد النبوي،إذ تقام الاحتفالات ويقرأ الشعراء السياب والعيسى والبياتي ولميعة وآخرون قصائدهم، وكان يحضر القراءات الشعرية أركان الدولة العراقية، ((وحين قرأت في يوم المولد النبوي سنة ١٩٤٦ قصيدتي التي أتوعد حكام العراق بانتفاضة تثأر لشهداء ثورة مايس ١٩٤١ كان معظم أركان الدولة حاضرا، الوصي على عرش العراق الأمير عبد الاله ووزير الخارجية الدكتور محمد فاضل الجمالي، وقد ورد في قصيدتي:

فحذار انفجارهن حذار العفاريت في الزجاج لهيب

أنا أخشى انتفاضة تغسل الفردوس غسلا من ألأذى والعار

غضب الوصي وطلب إلى العميد الدكتور خالد الهاشمي أن يفصلني،بيد أن العميد هدأ من روعه وقال له إن سليمان العيسى طالب سوري هجر من الاسكندرونة وإذا فصلناه فإلى أين يذهب،فصرف النظر عن فصلي)).

وعن الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد،قال العيسى انه دخل الدار سنة ١٩٥٠،بعد أن تخرجنا، السياب وأنا، سنة ١٩٤٧.وكما هو معروف فأن دار المعلمين العالية شهدت، خلال السنة الدراسية ١٩٤٤-١٩٤٥، تشكيل جماعة أدبية بأسم (إخوان عبقر) ضمت بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وكمال الجبوري وعبد الجبار

المطلبي وغيرهم. وقد لقيت من عميد الدار الدكتور متي عقراوي والأساتذة تشجيعا لذلك قامت الجماعة بتنظيم المواسم الشعرية والمجالس الأدبية وبكل حرية.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وسقوط النظام الملكي وتأسيس جمهورية العراق، أبدل اسم دار المعلمين العالية فأصبح كلية التربية وانتهى (العهد الدر معي) الذي دام خمسة وثلاثين عاما يعتز بها (الدر معيون) الأقدمون في تاريخ العلم والأدب، والتربية والتعليم.

تولى منصب عمادة دار المعلمين العالية خلال المدة من ١٩٢٣ . ١٩٥٨ كل من الأستاذ ساطع ألحصري (١٩٢٣)،الأستاذ طالب مشتاق (١٩٢٧)، الدكتور ناجي (١٩٣٩)، الأستاذ الأصيل (١٩٢٩)، الدكتور محمد مظهر سعيد (١٩٣٦)، الدكتور متي عقراوي، الأستاذ درويش المقدادي (١٩٤٠)، الأستاذ محي الدين يوسف (١٩٤١)، الدكتور خالد الهاشمي (١٩٤٥)، الدكتور عبد الحميد كاظم (١٩٤٨)، الدكتور جابر عمر (١٩٥٠)، الأستاذ تحسين إبراهيم (١٩٥٢)، الدكتور عبد الحميد كاظم (١٩٥٢)، الأستاذ تحسين إبراهيم (١٩٥٣)، الدكتور خالد الهاشمي (١٩٥٤)، الدكتور إبراهيم شوكت (١٩٥٦)، الدكتور محمد ناصر (١٩٥٧)، الأستاذ كمال إبراهيم (١٩٥٨).

احتلت دار المعلمين العالية مكانها التقليدي في الوزيرية، قرب ما كان يعرف في الخمسينات من القرن الماضي (سدة ناظم باشا)، وقد عرفت الدار، عبر تاريخها الطويل، الكثير من الأحداث التي اتسمت بالارتباط الوثيق بين الثقافة والسياسة واتضح ذلك من الدور الذي قامت به الدار على مستوى إعداد الكوادر التدريسية أولا، وما أنجزه خريجوها من أعمال ونشاطات أثرت في الحياة السياسية والثقافية العراقية المعاصرة وأمدتها بالكثير من الاتجاهات والأفكار والنزعات والرؤى المختلفة إلى الحياة والمجتمع والإنسان.. فبقدر ما كان أساتذتها يتمتعون بحس وطني وقومي، كان طلبتها غير بعيدين عن هموم أبناء شعبهم..

لذلك ضمت دار المعلمين العالية خيرة الشعراء والنقاد والعلماء والمؤرخين وكتاب القصة والرواية والمسرحية أمثال الشاعرة نازك الملائكة، والشاعر بدر شاكر السياب، والشاعر عبد الوهاب ألبياتي، والقاص ذو النون أيوب، والشاعر شاذل طاقة،والشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، والشاعرة لميعة عباس عمارة. وعلى مستوى الأساتذة، فقد كان أساتذة دار المعلمين العالية من الذين يشار إليهم بالبنان، بسبب نشاطهم الثقافي والسياسي والتربوي، ويمكن في هذا الصدد الإشارة إلى أبرزهم وهم الأستاذ الدكتور عبد الرزاق محيى الدين والأستاذ الدكتور مصطفى جواد والأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر والأستاذ الدكتور فيصل الوائلي والأستاذ الدكتور فاضل حسين والأستاذ الدكتور عبد القادر احمد اليوسف والأستاذ كمال إبراهيم والأستاذ الدكتور خالد الهاشمي والأستاذ الدكتور إبراهيم شوكت والأستاذ خضر عبد الغفور والأستاذ الدكتور نوري الحافظ والأستاذ الدكتور محمد ناصر والأستاذ الدكتور عبد العزيز البسام والأستاذ الدكتور احمد حقي الحلي والأستاذة الدكتورة سعاد خليل إسماعيل والأستاذ الدكتور مسارع الراوي والأستاذ الدكتور محمد جواد رضا والأستاذ الدكتور حمد دلي الكر بولي والأستاذ الدكتور إبراهيم يوسف منصور والأستاذة الدكتورة نعيمة الشماع والأستاذ الدكتور احمد حسين الرحيم والأستاذ الدكتور عبد الجليل الزوبعي والأستاذ الدكتور زكي صالح والأستاذ الدكتور جواد علي والأستاذ الدكتور محمد محمد صالح والأستاذ الدكتور سليم ألنعيمي والأستاذ الدكتور عبد الجبار عبد الله والأستاذ الدكتور احمد عبد الستار الجواري والأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي والأستاذ الدكتور حسين أمين والأستاذ الدكتور عبد الله الفياض والأستاذ الدكتور محمد حامد الطائي والأستاذ الدكتور ناجي عباس والأستاذ عبد الوهاب الدباغ والأستاذ عايف حبيب خليل العاني والأستاذ الدكتور حسن الخياط والأستاذ الدكتور وفيق حسين الخشاب والأستاذ الدكتور علي محمد المياح والأستاذ رشيد حميد حنونة والأستاذ الدكتور

حسن طه النجم والأستاذ الدكتور مكي محمد عزيز والأستاذ الدكتور امجد حسين الحاج علي والأستاذة ساجدة عاصم ألجلبي والأستاذة ساهرة فائق والأستاذ الدكتور محمد عمار الراوي والأستاذ الدكتور مراد بابا مراد والأستاذ الدكتور ناجي عبد الصحاب والأستاذ سعيد خضر والأستاذ الدكتور محمود مصطفى كنونه والأستاذ الدكتور صفاء خلوصي والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي والأستاذ الدكتور محمود غناوي الزهيري والأستاذ الدكتور يوسف عبود والأستاذ شيت نعمان، والأستاذ الدكتور جابر ألشكري والأستاذ الدكتور تقي الدباغ والأستاذ الدكتور نوري خليل ألبرازي والأستاذ ناجي عباس والأستاذ جواد علوش والأستاذ الدكتور حاتم عبد الصاحب ألكعبي والأستاذ الدكتور فهد علي حسين والأستاذ الدكتور فيصل السامر والأستاذ الدكتور محمد الهاشمي والأستاذ الدكتور عبد الهادي محبوبة، والأستاذ الدكتور نوري جعفر والأستاذ خضر عبد الغفور والأستاذة رينه سرسم والأستاذ الدكتور حمودي عبد المجيد. وأية مراجعة لفهارس المطبوعات في العراق، تمكن القارئ من أن يضع يده على مجموعة كبيرة من الكتب والدراسات التي أنجزها أساتذة الدار، هذا فضلا عن نشرهم لمئات من البحوث في المجلات العراقية والعربية والأجنبية. ولم تكن الهيئة التدريسية في دار المعلمين العالية مقتصرة على العراقيين وأتذكر إنني كنت أرى عددا من الأساتذة الأجانب يقومون بالتدريس إلى جانب زملائهم العراقيين ومن هؤلاء الأساتذة، ستيفن رونسمان، وديزموند ستيوارت وارثر بلاومان، والس هلن هريك وارك فرنس برور وكورون وليام كروس ومار كوري رحمة الله ولورس باترن وجوزف دايف ترنر ونيكولاس او هاكر، ويان فوسين وال. سشنغ، واف آر دوش.

ومما ينبغي ذكره أن مناهج دار المعلمين العالية كانت تجمع بين ثلاثة أنماط من الدراسات وتوحد بينها وهي دراسات الاختصاص وتشمل العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والأدبية ودراسات الثقافة العامة كاللغات

الأجنبية، ومعالجة المشكلات المعاصرة التي تتعلق بالعراق والبلاد العراقية، وأخيرا الدراسات المهنية ومنها التربية وعلم النفس وأصول التدريس.

وقد ارتبط أساتذة الدار وطلبتها بالحركة الوطنية العراقية المعاصرة، والمتمثلة بالأحزاب السياسية التي كانت تعمل على الساحة العراقية آنذاك، كما أن لهم مواقفهم تجاه الأحداث التي شهدها الوطن العربي منذ العشرينات من القرن الماضي، وقد تعرض عدد من الأساتذة والطلبة للاعتقال والفصل مرات عديدة، ولم يتوان هؤلاء الأساتذة عن نصرة قضايا شعبهم وأمتهم، فكانوا يقدمون المذكرات السياسية إلى الملك ورئيس الوزراء ومنها المذكرات التي قدموها إبان أزمة السويس سنة ١٩٥٦ والتي طالبوا فيها الحكومة بإسناد مصر وإقالة الوزارة وإقرار النظام الديموقراطي وكان من نتيجة تلك المذكرات، كما يشير الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي، احد طلبة الدار آنذاك، فصل عدد من الأساتذة منهم الدكتور عبد القادر احمد اليوسف، والدكتور فيصل الوائلي والدكتور حميد يونس، وفيما تم تنحية الدكتور خالد الهاشمي من منصب عمادة الدار.

ومن الأمور الملفتة للنظر أن الدار كانت تقيم صباح كل يوم اثنين(اجتماع الاثنين الصباحي) يلقي فيه احد الأساتذة محاضرة وتعقبها مداخلات ومناقشات ممتعة ومفيدة.وتعتبر اجتماعات الاثنين الصباحية، من التقاليد التي كانت الدار تعتز بها، حيث تتاح لطلبتها الفرصة للإفادة من خبرات ذوي الاختصاص في مختلف ميادين الخدمة العامة،وذلك بغية توجيه الطلبة وجهة علمية ووطنية صحيحة وتقديم المعارف التي تتصل بمناهج دراساتهم.كما تهيئ لهم الفرصة للتعرف على شخصيات بلادهم، ووجهات نظرهم في شتى الموضوعات الحيوية. وقد افتتح موسم الفصل الدراسي الأول ١٩٥٥-١٩٥٦ سعادة الدكتور خالد الهاشمي عميد الدار وتلاه الأستاذ شيت نعمان مدير المباحث الصناعية فألقى محاضرة عن الصناعات العراقية أما فخامة العميد الركن السيد طه الهاشمي نائب

رئيس مجلس الاعمارفقدم محاضرة عن نشأة العقيدة وأهمية الدين لدى البشر.وألقى بعده الدكتور جابر عمر الأستاذ في الدار محاضرة عن انطباعاته عن المغرب العربي وتركزت محاضرة الأستاذ محمد محمود سامي عن الموسيقى الشرقية وتطورها وكان الدكتور محمد عزيز الأستاذ في كلية التجارة والاقتصاد آخر الذين حاضروا في الموسم الأول اذ تحدث عن تجربته في جامعة وستكنس الأميركية. أما في الموسم الثاني والذي يبدأ بعد امتحان نصف السنة فقد كانت محاضرة الدكتور صلاح العبد الاولى في سلسلة المحاضرات وكانت في موضوع القرية العربية.أما الدكتور عبد الطوخي فكانت محاضرته عن الصحة العامة في العمران تلته السيدة مائدة الحيدري التي حاضرت عن الجامعي المكافح وألقى الدكتور عبد الرحمن ألجليلي محاضرة عن العراق بعد عشر سنوات والأستاذ منير القاضي عن نشأة التعليم ودار المعلمين العالية والآنسة صبيحة الشيخ داؤود عن المرأة العراقية والمقدم عبد الحميد حسين عن معركة اليرموك والدكتور صبيح الو هبي عن المؤتمرات الدولية للصحة العالمية والدكتور محمد ناصر عن حياة الطلبة في أميركا والأستاذ إبراهيم موسى عن فعاليات الشباب في الولايات المتحدة الأميركية والأستاذ هاشم جواد عن الخدمة الاجتماعية.وكان في دار المعلمين العالية نظام متكامل للإرشاد الطلابي وثمة استمارة توزع على الطلبة تملا من الطلبة في مطلع العام الدراسي لتساعد المرشد في فهم طالبه والتعاون وإياه في الفترة التي يقضيها في الدار.

وكثيرا ما كان الزوار العرب والأجانب يزورون الدار ويسجلون انطباعاتهم عنها وهناك سجل لذلك وكان أساتذة الدار وطلبتها يحرصون على توثيق نشاطاتهم من خلال الصور الفوتوغرافية التي تعد اليوم من الوثائق التي تعين المؤرخ في تدوين تاريخ هذه المؤسسة العلمية الكبيرة. كما كان في الدار فرقة مسرحية،ويقول الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي أن المخرج جاسم العبودي شكل

بعد عودته من دراسته الفنون المسرحية في الولايات المتحدة الأمريكية أواخر الخمسينات من القرن الماضي، فرقة مسرحية من طلبة الدار وقد قدمت الكثير من المسرحيات منها مسرحية مكبث لشكسبير. كما تشكلت، ولأكثر من مرة، لجان أدبية وتجمعات ثقافية ضمت أساتذة وطلبة الدار، منها التجمع المعروف بـ (أهل الأدب) وكان ذلك برعاية الدكتور صفاء خلوصي وكان التجمع يقدم مساء كل ثلاثاء نشاطا ثقافيا يقرأ فيه الطلبة قصصهم وقصائدهم.

وكان للدار مجلة علمية أكاديمية رصينة هي مجلة (الأستاذ) ينشر فيها أعضاء الهيئة التدريسية بحوثهم. وقد كانت مجلة نصف سنوية تباع للطلبة بسعر زهيد لايزيد عن (١٥٠) فلسا لعددين في السنة ومائة فلس لعدد واحد،في حين تباع للاخرين بربع دينار (٢٥٠) فلسا لعددين سنويا و١٥٠ فلسا للعدد الواحد. وقد جاء في ترويسة المجلة ((أنها مجلة تصدر عن دار المعلمين العالية في بغداد)).وكانت تطبع في مطبعة الرابطة المشهورة آنذاك. وقد يكون من المناسب الإشارة إلى أن للمجلة لجنة مشرفة على تحريرها وإصدارها. وفي سنة ١٩٥٦ كانت اللجنة المشرفة تتألف من الأستاذ كمال إبراهيم الأستاذ في قسم اللغة العربية والدكتور محمد ناصر الأستاذ في قسم التربية وعلم النفس والدكتور محمد الهاشمي الأستاذ في قسم العلوم الاجتماعية والدكتور عبد العزيز كاظم المدرس في قسم الكيمياء والدكتور علي جواد الطاهر المدرس في قسم اللغة العربية والسيد عبد الحميد عبد الكريم المدرس في قسم التربية وعلم النفس (سكرتير التحرير). وقد تضمن المجلد الخامس بعدديه الصادر سنة ١٩٥٦ مقتطفات من حديث معالي وزير المعارف (التربية) آنذاك الأستاذ منير القاضي وجهه إلى طلبة دار المعلمين العالية في الساعة العاشرة من صباح الاثنين ١٢ آذار ١٩٥٦ جاء فيه ((منذ جئت الى وزارة المعارف،وانا ارغب رغبة قوية في زيارة دار المعلمين العالية،وأتحدث إلى هذه العقول النيرة المتفتحة التي تتلقى العلم.يلذ لي أن أتحدث

إلى هذه الزمرة المنتقاة وهذا الشباب الذي هو طليعة امتنا والذي عليه الاعتماد في نشر العلم في ربوعنا)). ثم قال ((نشأ التعليم في العراق في غرفة واحدة ولاتزال هذه الغرفة قائمة أمام دار الضباط،تسع وثلاثين طالبا...وكنت من طلابها)) وتهد بان سيكون لدار المعلمين العالية منزلة مرموقة في الجامعة العراقية التي كانت في طور الإنشاء وقد افتتحت سنة ١٩٥٨ وسميت (جامعة بغداد) وصارت دار المعلمين العالية واحدة من كلياتها ولكن بأسم جديد هو كلية التربية.كما احتوى العدد ذاته على خلاصة نشاطات الدار الاجتماعية والثقافية للعام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ من هذه الخلاصة نكتشف جوانب مهمة مما كانت الدار تقوم به فلقد نظمت اللجنة الرياضية فضلا عن المباريات لمختلف الألعاب،سفرتان للطلبة الأولى إلى إيران والثانية إلى تركيا وقد انشأ طلبة قسم علوم الحياة ناد باسم نادي رواد الطبيعة كما تشكلت جماعة الموسيقى وجماعة اللغة الألمانية وجمعية تعمل لتنمية الملكات الأدبية والتدريب على الخطابة باسم جمعية الثقافة العربية كما اعتادت الدار، يقول الأستاذ أنور عبد العزيز،وهو احد طلبتها، تنظيم حفلات للتعارف في بداية العام الدراسي وحفلات التخرج في نهايته، هذا فضلا عن اضطلاعها بتشجيع الطلبة على القيام بالرحلات والسفرات العلمية ليس إلى داخل العراق وإنما إلى خارجه. وقد أرخ الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى، وكان طالبا في الدار حفلات التخرج بقصيدة شهيرة حفظها خريجو الدار على مر الأجيال وهم يودعون الدار بوفاء المحب وحزنه وأسفه ووجعه لهذا الفراق:

أقول وقد أوفى على السفر الركب أعام مضى يا دار أم حلم عذب

كما حرصت إدارة الدار على استضافة الأساتذة الزائرين ويتذكر خريجوها كيف أنها استضافت الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال والأستاذ محمد سعيد العريان والأستاذ محمود الحفيف والدكتور احمد أمين..هذا فضلا عن المسؤلين في الدولة

وفي مقدمتهم الملك وولي العهد ورئيس الوزراء والوزراء والمديرين العامين كانوا يحضرون الندوات والمهرجانات الشعرية والمؤتمرات والمعارض الفنية والحفلات الغنائية والموسيقية والاستعراضات الرياضية التي تنظمها الدار على مدار السنة.لقد كان للرياضة حصة كبيرة من اهتمامات الدار، كما كانت للفنون التشكيلية والموسيقية حصتها كذلك، ففي الكلية قاعة كبيرة ومرسم كبير ومكتبة كبيرة، كما كان هناك أستاذ يدرب الطلبة في العزف على الآلات الموسيقية وروى الأستاذ أنور عبد العزيز جانبا من ذكرياته في دار المعلمين العالية فيقول كانت دار المعلمين العالية كلية اهتمت بالبحوث التربوية والنفسية والإرشادية، وكانت فيها مكتبة عامرة متخصصة، وتوفر، فضلا عن مواد التخصص، كتبا ومجلات ثقافية متنوعة وكان أمينها الفنان الممثل الراحل عبد الواحد طه الذي أدى دورا رائعا مع يوسف العاني في فيلم (سعيد أفندي)، وكانت الدار، وطيلة أجيال، تعنى بإقامة المواسم الثقافية والمهرجانات والأمسيات الشعرية الجميلة للشعراء الكبار وفي مقدمتهم الشاعر محمد مهدي ألجواهري والشاعر بدر شاكر السياب والشاعر عبد الوهاب البياتي والشاعر سعدي يوسف والشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والشاعرة نازك الملائكة والشاعرة عاتكة الخزرجي والشاعرة لميعة عباس عمارة وكان عدد من هولاء الشعراء من طلبة الدار نفسها في الخمسينات من القرن الماضي. ومما يذكر ان الجمعيات والمنتديات التي كانت قد تشكلت في الدار قد قامت بالكثير من النشاطات ولعل من أبرزها الأمسيات الأدبية فعلى سبيل المثال نظمت جمعية الإنشاء العربي خلال العام الدراسي ١٩٥٥-١٩٥٦ أربع أمسيات اشترك فيها نخبة من الطلبة منهم صلاح نيازي وكاظم الخليفة وأمل احمد الخطيب وهادي الحمداني وشاكر النعمة وقاسم السامرائي وعبد الحسن جميل واحمد عبد الستار وجعفر الحمداني وجلال الخياط وعاطفة فرج ومحمود منير ومحمود فوزي الصراف ورتيبة خلوصي وناظم يونس ووليد احمد وعصام عبد

علي. أما جمعية الثقافة العربية فقد اهتمت بإقامة المباريات الشعرية والخطابية والمناظرات الجدلية وبإشراف رئيس قسم اللغة العربية الأستاذ كمال إبراهيم وقد قامت في السنة المذكرة ذاتها بحفلة سمر جمعت ألوانا شتى من قصائد شعرية ألقيت وندوة أدبية وفصول تمثيلية وألوان من الموسيقى والغناء وشيي من الأحاجي والألغاز وكان من شعراء الحفل هادي الحمداني وسهام طه مكي وصلاح نيازي وكان عريف الحفل عبد السلام إبراهيم ناجي. ولم يكن أساتذة الدار وعمدائها بعيدين عن تلك الأنشطة فقد كانوا يشاركون في إلقاء القصائد والمحاضرات والخطب على طلبة الأقسام العلمية في الدار..

كما كان للدار اهتمام بتقديم العروض المسرحية ولها مرسم ومعارض تشكيلية وكان الفنان جواد سليم من أوائل من أسس فيها (المرسم).. وللدار نشاط لاصفي في الموسيقى.. ولها نشاطها الرياضي وساحات القدم والطائرة والسلة والعاب الساحة والميدان بأشراف كل من الأستاذ محمود القيسي صاحب الكتاب المشهور ((الملاكمة ليست رياضة..حرموها)) والأستاذ حميد حمدي الاعظمي، والأجمل تلك الساحة المخصصة للعبة (التنس) وكنا نراها لعبة حديثة يشارك فيها الأساتذة الأجانب مع أساتذة الدار وطلابها وطالباتها، وكانت الماهرة والبارزة في هذه اللعبة (مسز رحمة الله) ببنطلون الشورت الأبيض والحذاء الرياضي الأبيض، وكان للكلية (ناديها) الشهير بين نوادي الكليات، لتوفير سبل الراحة والترفيه للطلبة مع توفر الصحف اليومية المجانية فيه، وكان لها (أقسام داخلية) مجانية ويقع اغلبها مع مباني الكلية في الوزيرية، وكان في الكلية فضلا عما هو موجود في الأقسام الداخلية، حمام عام للطلبة وحلاق خاص وغرفة طويلة للطالبات لفترات (الفرص والاستراحة) ودواليب كبيرة (لوكرات) بأقفالها لمن يرغب من الطلبة بحفظ كتبه وأوراقه وحاجياته فيها)).

وكانت الدار معنية بالشأن الثقافي والمعرفي، وكثيرا ما وزعت الكتب على الطلبة مجانا ، ولم تكن الدار مقتصرة في طلبتها على العراقيين، بل كان هناك طلبة عرب وأجانب ويكاد معظم خريجي الدار يتذكرون أسماء زملائهم الذين ينتمون إلى أقطار الوطن العربي والعالم، ومن الطريف أن يكون بين الطلبة آنذاك، صينيون وبلغار وانكليز، فضلا عن الطلبة البحرينيون والسوريون والتونسيون والمغاربة والأردنيون والفلسطينيون.

قدم الأستاذ نزار المختار، وهو أحد خريجي الدار جانباً من ذكرياته المدونة في دار المعلمين العالية لكاتب هذه السطور ومما قاله أنه تسلم من عميد الدار الأستاذ الدكتور خالد المعاشي كتاباً برقم ١٨٤٣ وبتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٤٦ يعلمه فيه بقبوله في الدار ومما جاء في الكتاب (يسرني أن اخبركم أنكم قبلتم في الصف الأول من دار المعلمين العالية وطيه ورقة الكفالة مع التعليمات اللازمة نرجو اكمالها باسرع وقت)).. ومما أكده الكتاب أن على الطالب المقبول تسليم الكفالة وتامينات المختبرات، وبدل عضوية اتحاد الطلبة الى محاسب الدار مع اكمال النواقص في معاملة القبول وابرزها الشهادة المدرسية، ودفتر النفوس، وشهادة التطعيم ضد الجدري، وشهادة الجنسية العراقية، وشهادة عدم المحكومية.. وكانت الكفالة تبلغ خمسون ديناراً لكل سنة أي مائتا دينار لأربع سنوات، وتقتضي من الكفيل أن يكون عضواً في غرفة التجارة وتصدق الكفالة عند الكاتب العدل.

ويورد الأستاذ نزار المختار أسماء عدد من زملائه الموصليين في دار المعلمين العالية (١٩٤٦-١٩٤٧). فكان من زملائه في الصف الأول اسماعيل أحمد الدباغ، وتوفيق محمود الصفار، نافع داوود عقراوي، وسالم عبد الحميد، وكامل مهدي علي(الرياضيات، وخليل حميد الطالب، وتوفيق عبد الحاج يونس، وغانم توفيق مطلوب، وحازم فتوحي، توما شي، وعزيز ابراهيم مكي (الطبيعيات) وشاذل جاسم طاقة، وصابر عبد المجيد الأطرقجي (الآداب)، وبدري محمد

الشيخ، وعبد المطلب عبد الرحمن (اللغات الأجنبية) وفي الصف الثاني كان هناك من زملائه كامل اسطيفان، وسالم عبد الأحد زكر، وحازم السمرجي (الرياضيات) ومتي عبودي الشيخ، وصبري ميخائيل فروخة (الطبيعيات) وعابد توفيق الهاشمي ولقمان محمد ملحم (الاجتماعيات) وحمدي يونس آل شخيتم ويونس عزيز وعبد الرزاق عبد القادر عنبر (اللغات الاجنبية) وحازم ذنون (الآداب).

أما في الصف الثالث فكان من زملائه يعقوب كساب (الرياضيات)، وعبد الحميد التحافي، وعبد السلام نوري القصاب، وحارس بهنام النجار (الطبيعيات) وشيت صالح، وسعيد سليمان آل شخيتم (الإجتماعيات)، وعبد الوهاب النجم، وفتحي حسين، وحازم عمر خليل (اللغات الأجنبية وعبد النافع مجيد الدبّاغ (الآداب) وفي الصف الرابع كان من زملائه محمد واصل الظاهر وعز الدين نعوم وجورج صفو شعيا ويعقوب يوسف صباغة وكامل الدبّاغ (الرياضيات) ولقمان لاوند ورزمي زيا (الطبيعيات) وأحمد قاسم الفخري (الآداب)

وقد احتفظ الأستاذ المختار بنسخة من منهاج حفلة توزيع الشهادات على خريجي دار المعلمين العالية للسنة الدراسية ١٩٤٩ – ١٩٥٠ والتي جرت برعاية (صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد الأمير عبد الاله) في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت الموافق ٣ من حزيران سنة ١٩٥٠ على حديقة قاعة الملك فيصل الثاني.. وتضمن المنهاج ظهور خريجي الدار من داخل القاعة وأخذهم لأماكنهم بعد تشريف الوصي الحفل وبعدها كلمة الدكتور جابر عمر وكيل عميد دار المعلمين العالية وبعدها كلمة الخريجين القاها الطالب شاذل جاسم طاقة (الأدب) وتوزيع الشهادات والجوائز.. وممن حصل على الجوائز نزار محمد المختار باعتباره باعتباره الخريج الأول في فرع الرياضيات وجاسم محمد الحسيني الخريج الأول في فرع الفيزياء وخليل حميد الطالب الأول في فرع

الرياضيات علوم الحياة وشاذل جاسم طاقة الأول في فرع الآداب وتوفيق عبد الحاج يونس الأول في فرع الكيمياء ونعمان دهش العقيلي الأول في فرع الاجتماعيات وهادي عبد فرهود الأول في فرع اللغة الانكليزية ورشيد سبع العبوي لتميزه في النشاط الاجتماعي وفي مطوية الحفل (الفولدر) أسماء خريجي الدار للسنة الدراسية ١٩٤٩ – ١٩٥٠ وفي الفروع المختلفة وعددها سبع فروع وهي الرياضيات والفيزياء وعلوم الحيتة والكيمياء والآداب واللغات الأجنبية والعلوم الاجتماعية ومن أبرز اسماء الخريجين (سعدية محمود ذنون وعبد الله محمود النفيسي وكوكب داؤود الخشاب ولميعة عباس عمارة وعبد الله احمد البياتي ووسيم ابراهيم الأمين ومحمد حمزة قفطان (الأدب) وخالدة الجادر وسعادة جعفر الأوقائي وعفة بهجت البكري وفائق عبد الرزاق العبيدي ومنيرة قرياقوز بنيي ومحي الدين هافور الخالدي(العلوم الاجتماعية) وعادلة أمين زكي وعبد المطلب عبد الرحمن وروز مراد وماجدة امين العامري وجوزفين جبرائيل ملكون وبدري محمد الشيخ أحمد (اللغات الأجنبية) وغانم توفيق مطلوب وعبد الله فليح العزاوي وابراهيم عزيز السهيلي (علوم حياة) وابراهيم صبحي صفيل الرجماني وسامية حسن الدروبي وسكينة محمود مصطفى الدبّاغ وفوزية محمود عبد الوهاب (الكيمياء) وأديبة متي كرومي وجعفر خلف ومارلين حنا عجو ونزار محمد المختار وخليل عبد اللطيف نصّار وعلي أحمد الحاج جاسم (الرياضيات) وابراهيم ناصر ابراهيم وجانيت نعوم الصائغ ورزمية مجيد عبد النور وماري اصطيفان جرجيس وربيعة محمد علي (فيزياء) وأعطى الأستاذ نزار محمد المختار معلومات مفصلة عن خريجي الدار للعام الدراسي ١٩٤٩–١٩٥٠ من الموصليين وقال أن عدد من تخرج بدرجة شرف من الموصل ثمانية من أصل ثلاثة وعشرين وعدد اللذين تخرجوا من الموصل عامة ست وعشرون من اصل مئة واربعة وعدد الأوائل من الموصل أربعة من أصل سبعة والأوائل الأربعة من الموصل خليل حميد الطالب (علوم

حياة) وشاذل جاسم طاقة (الآداب) وتوفيق عبد الحاج يونس (كيمياء) ونزار محمد المختار (الرياضيات). ولم ينسَ الأستاذ المختار أن يذكر عدداً من الموصليين اللذين قُبلوا في الصف الأول للسنة الدراسية ١٩٤٧ – ١٩٤٨ وفي فروع الدار المختلفة وهم هشام أحمد الطالب وعبد الملك عبد العزيز الطالب ومحمود علي الداؤود ومحمد نجيب محمد علي أغوان وصديق الياس محمد ومحمد صالح محمد ونجيب عثمان الفخري وعبد الرحمن محمد يونس ونجيب عزيز الوكيل وخليل الحاج عبد النجم وأنيس كامل كريم وحازم عبد الرزاق الصائغ وصديق الخوشي وعبد الله القليه جي ونافع عبو اليونان وجرجيس جميل. أما اللذين قُبلوا في الدار للسنة الدراسية ١٩٤٨– ١٩٤٩ وفي مختلف الفروع منهم ياسين حامد القطّان وبشير حسن القطّان وعلي جاسم الجمعة وحازم سليمان البناء وسالم داؤود الراوي وعبد الإله سعيد الطالب وادريس عبد القادر الحاج خطاب وكمال عبد المجيد مصطفى وقاسم يحيى العارف وسالم داؤود الأحمدي وسالم رشيد ميخائيل انطوان وبهنام داؤود رقّو ووفيق حسين الخشّاب وعبد النافع سعيد يحيى وحميد سعيد الجرّح، وممن قُبل في الصف الأول للسنة الدراسية ١٩٤٩– ١٩٥٠ غانم سعد الله حمودات وعبد الله ابراهيم السمّال وغانم يونس أحمد ويحيى عبد سعيد وجورج عبد النور وأمين صالح حيّاوي.

واستعرض الاستاذ المختار في اجابته على سؤالي المتعلق بذكرياته في دار المعلمين العالية اسماء عدد من الشعراء اللذين برزوا أواخر الأربعينات من القرن الماضي وكانوا من طلبة الدار ومنهم: أحمد قاسم الفخري وسليمان العيسى(سوري) وشاذل طاقة وعبد الوهاب البياتي ولميعة عبّاس عمارة وبدر شاكر السياب وعبد الرزاق عبد الواحد وصالح جواد الطعمة وحسين علي محفوظ. وقد اعتادت الدار تنظيم محاضرات عامة أيام الاثنين من كل شهر وممن استمع اليهم الاستاذ المختار الحبيب بورقيبة (الرئيس التونسي الراحل قبل توليه الحكم)

والدكتور يونس عبود الذي تحدث عن ذكرياته في المانيا عندما كان طالباً.. والدكتور محمد مهدي البصير عن ذكرياته في فرنسا عندما كان طالباً..

وأورد الاستاذ المختار أسماء عدد من الأساتذة العرب اللذين درسوه ومنهم الدكتور حلمي شاكر سمارة (فلسطين) وجورج البارودي(لبنان) وإسماعيل حقي (مصري) وإميل جبر ضومط (لبناني) والدكتور محمد كامل النحّاس (مصري) والدكتور شريف عسيران (لبناني).. ومن الأساتذة العراقيين الدكتور داؤود نصير وبهجت النقيب وسعيد صفّو ومحي الدين يوسف وعبد الله عبودة وسعد الدبوني والدكتور محمد كنونة والدكتور جابر الشكري والدكتور سمير النعيمي والدكتور جابر عمر والدكتور محمد حسين آل ياسين والدكتور حسن الدجيلي والدكتور نوري جعفر.. وممن لم يدرسوه الدكتور خالد الهاشمي والدكتور عبد الحميد كاظم والدكتور أحمد عبد الستار الجواري والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور جاسم محمد خلف والدكتور زكي صالح والدكتور عبد الجبّار عبد الله والأستاذ خضر عبد الغفور والدكتور إبراهيم شوكت وجميع هؤلاء الأساتذة كانوا مشهورين ومتميزين ليس على صعيد العراق بل على الصعيد العربي كذلك بسبب مؤلفاتهم ونشاطاتهم العلمية.. وكان الى جانب هؤلاء معيدين برزوا فيما بعد منهم محمد واصل الظاهر وسعيد خضر وعبد الرحمن خالد القيسي وحاتم عبد الصاحب ألكعبي وكان آنذاك مسؤولاً عن المكتبة قبل أن يبرز أستاذا في علم الاجتماع.

يقيناً أن الأستاذ المختار يمتلك معلومات أكبر مما أرسله إلينا وقد وعدنا بأن يعود ثانية ليستذكر جوانب أخرى من حياته وسيرته العلمية الغنية وندعو الله أن يمده بالصحة والعمر المديد لكي يقدم ما يفيد الباحثين ويسهّل عليهم توثيق الحياة الثقافية والعلمية والتربوية لعراقنا العزيز وخاصة في تاريخه القريب..

أما الأستاذ مظفر بشير فقد قدم لنا معلومات مفيدة عن دار المعلمين العالية وأكد بأن القبول فيها لم يكن يومئذ سهلاً بل كان دخولها أشق من دخوله الكلية الطبية وخاصة بالنسبة لطلبة المحافظات ومنهم طلبة الموصل وكان طلاّب دار المعلمين العالية ((هم النخبة المختارة من طلبة العراق بكل ألويته كما كانت تسمى آنذاك)) وحسناً فعل الأستاذ مظفر بشير عندما أرسل لي وثيقة تاريخية هي عبارة عن مطوية (فولدر) تتعلق بحفلة توزيع الشهادات على خريجي الدار للسنة الدراسية ١٩٥٢–١٩٥٣ وصورته وهو يتسلم الشهادة من الملك فيصل الثاني ملك العراق (١٩٥٣–١٩٥٨) وصورة أخرى لطلبة صفه المنتهي المتخرجين من قسم اللغة العربية (الآداب) كما كان يسمى يقول الأستاذ مظفر بشير، إن كلية التربية – ابن رشد بجامعة بغداد أقامت يوم ٦ كانون الأول ١٩٩٢ احتفالاً أحيت فيه تراث دار المعلمين العالية وقد حضر الاحتفال وكلّه ((شوق ولهفة)). وأعد قصيدة بهذه المناسبة لكنه لم يلقها آنذاك بل ألقاها في حفل أقامه (نادي الجمهورية الثقافي) ببغداد وهناك التقى زميله الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد الذي احتضنه ورحب به قائلاً له: ((أهلاً بك وبدار المعلمين العالية، فقد كانت عزيزة على كل أبنائها وخريجيها)). ويتحدث الأستاذ مظفر بشير في رسالته عن أنه حضر في أول سنة دخل فيها الدار حفلة خطابية وكان ممن اعتلى منصة الخطابة في تلك الحفلة فتاة في العشرين من عمرها نحيفة ترتدي ثوباً أسوداً وألقت قصيدة نالت إعجاب الحضور جاء فيها: يهنيك ياذئب الفلا فأنا هنا وحدي!!

وكانت الفتاة هي الشاعرة المبدعة لميعة عباس عمارة وقد حصلت على الجائزة الأولى ((وقد علمت سبب لباسها ثوب الحداد اذ فقدت أباها في تلكم الأيام)). كما ألقى الشاعر الدكتور محمد مهدي البصير قصيدة غزل لم ((يبق في ذهني منها الا قوله: انما يقرر أمر الصلح من اعلن الحربا)) ((وقد درسنا البصير سنوات عدة وكان يحسن الظن بي خاصة اذا سأل عن بحور الشعر

فيقول أحياناً من أي بحر هذا البيت؟ فيرفع أيديهم البعض القليل منا وكان هو لايرانا فيقول سكرتيره أنه لابد أن يكون فلان وفلان ممن رفعوا أيديهم ويذكر اسمي ضمنهم)).

((أما ذكرياتي عن بقية أساتذتي في الدار فهي ممتعة لذيذة حزينة أحياناً، فمنهم أساتذة كبار مثقفي عراقنا في تلك الأيام وكان على رأسهم الاستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري والأستاذ الدكتور مصطفى جواد والأستاذ الدكتور سليم التعيمي والأستاذ الكبير كمال إبراهيم وهو زوج أخت الأستاذ المرحوم محمد بهجت الأثري، ومن أساتذتنا الكرام الدكتور عبد الرزاق محي الدين الأديب الشاعر الوطني القومي المعروف والأستاذ الدكتور نوري جعفر الذي درسنا فلسفة التربية والأستاذ الدكتور احمد حقي الحلي الذي درّسنا طرق التدريس. كما درسنا اللغة الفرنسية الأستاذ الموصلّي والصحفي المعروف يونان عبو اليونان. أما الأستاذ الدكتور محمد الهاشمي فقد درسنا التاريخ الإسلامي وكانت مدرسة اللّغة الألمانية مدرسة ألمانية الجنسية هي زوجة الأستاذ الدكتور جابر عمر وكانت تسمى (هيفاء جابر عمر وقد عرب اسمها وزوجها) كما درسنا علم النفس الأستاذ القدير الدكتور عبد العزيز البسام.. وقد تأخرت في ذكرياتي عن أستاذي الجليل جميل سعيد أستاذ البلاغة الذي كتب لنا فيها الكثير وكان يضرب الأمثال أحياناً من الشعر الشعبي فاذكر أنه قرأ بيتاً من الدارمي وأرجو المعذرة إن حرفته:

شدعي عليك يكون يا لصحت باسمه فز فزّة العصفور كلبي شيلزمة

أما عميد الدار فكان الدكتور عبد الحميد كاظم ويعاونه الدكتور جابر ألشكري للشؤون العلمية والدكتور أحمد عبد الستار الجواري لشؤون الطلبة..وفيما بعد تولّى عمادة الدار وكالة الأستاذ تحسين إبراهيم وصورته موجودة مع طلبة

صفنا المشار إليها أعلاه ويورد الأستاذ مظفر بشير أسماء من ظهروا في الصورة وهم في الصف الأول من اليمين ايفلين داؤد نقاش (من الموصل) وزكية صادق وهي كربلائية والأستاذ الدكتور عبد الهادي محبوبة زوج الشاعرة نازك الملائكة والدكتور سليم النعيمي والأستاذ تحسين إبراهيم والدكتور صفاء خلوصي والزميلة ابتهاج عطا أمين والزميلة زينة أحمد مختار وفي الصف الثاني خليل إسماعيل العاني وعمران الموسوي وطارق الموصلي وفاطمة قاسم عبد ألعال وبهيجة باقر الحسني وزهرة رؤوف هاشم وعبد المحسن خلوصي الناصري وصاحب أحمد ومحمد عباس السعدي وموسى إبراهيم الكرباسي.

وفي الصف الثالث عبد الحسين ابراهيم ووداد جمال عرب وخلف رشيد وكاظم عبد الكريم الكاتب ويونس احمد عبد الكريم السامرائي ومظفر بشير وكمال عبد المجيد. ولم يحضر من الزملاء في الصورة إبراهيم كيطان الشبوط وغانم سعد الله حمودات وكاظم نعمة التميمي ومحمود عبد الوهاب ومناهدة أسعد القاسم وبهذا اكتمل عدد طلبة صفنا المنتهي، يقول مظفر بشير، ليبلغ ٢٦ طالباً وكان تسلسل الأستاذ مظفر بشير ضمن خريجي قسم الآداب بدار المعلمين العالية للسنة ١٩٥٢–١٩٥٣ (٢١) من بين (٢٦) وقد ورد إلى جانب اسمه في منهاج احتفال توزيع الشهادات مساء يوم ١٠ حزيران ١٩٥٣ انه متخرج بمرتبة الشرف. لقد كانت دار المعلمين العالية بحق، صفحة ناصعة في سجل الصفحات الكبرى من تاريخ التعليم ليس في العراق وحسب وإنما في الوطن العربي كله.

Culture And Politics In Contemporary Iraq
Supreme Teachers Institute ١٩٢٣-١٩٥٨:
A page From History of University Education

Prof. Dr. Ibrahim Khalil Al-Alaff
Regional Studies Center, Mosul University

Abstract

The Supreme Teachers Institute has been established in ١٩٢٣ and at the beginning it gave evening study till ١٩٢٧. This institute has been abolished in ١٩٣١ but it returned in ١٩٣٥ and the period of study has become four years to give the students B.A. degree in arts, or science or education. The reason of its abolition was the fear of the ruling authorities from practicing political activities

The paper is an attempt to document the history of Supreme Teachers Institute, its activities and its effect upon so-ciety since its establishment till ١٩٥٨ in which its name has been changed into College of Education.